بصمات في تاريخ الكويت

الخطوة الأشد طولاً

الشهيد جمال سالم خلف النقاوي

بصمات خالدة

العطـاء، بدرجاته المختلفـة، قيمة إنسـانية عظيمة.. وعندما يصل العطاء الى التضحية بالروح فإنها تجسد القيم الإنسـانية لأنها تعكس سمو النفس، وعلو الهمة، ولأنهـا تجسـد الإيمان المطلـق بأن الحيـاة الحقيقية هي الحيـاة الكريمة وهذه تسـتحق التضـحية بأثمن ما يملكه الإنسـان وهو النفسـ... لقد تجلت جميع هذه القيم الإنسانية النبيلة في ملحمة بطولية أثناء تعرض الكويـت للغزو.. لقد توقـف الزمن عندها ليشـهد هذه الملحمة الإنسـانية النادرة وليشهد عليها أيضاً ليكون بعدها توثيقاً للحدث يسـتهدف إعلاء شأن الوطن وشأن القيم وإعلاء لشـأن الإنسـان والذي هو محور كل ذلك، وتعزيزاً وتدعيماً للقيم الإنسانية النبيلة التي جسدتها التضـحيات العظيمة لأبناء هذا البلد الأمين فقد ارتأى المكتب أن يوثق هذه القيم ضـمن سلسـلة من القصص التي تعكس مآثر وتضحيات أبناء هذا البلد لتظل نافذة للأجيال القادمة يشهدون من خلالها أسمى معاني الإيثار ولينهلوا منها معاني الوفاء والعمل والحياة الكريمة..

تخليد ورعاية

- تكريم الشـهيد عن طريق تخليـد بطولاته ورعاية ذويه رعاية متميزة في الجوانب المادية والمعنوية.

تخليد ورعاية

Tel: 1888101

الخطـــوة الأشـد طـولاً

قصة الشهيد (*)

جمال سالم خلف اللنقاوي

بقلم

إسماعيل فهد إسماعيل

(*) تمت الاستعانة بحيثيات الشهيد من خلال كتاب د. نجاة عبدالقادر الجاسم: شهداء الكويت ، بطولاتهم وتضحياتهم ، الجزء الثاني، ص ٧٨ – ٨٢ .

813 إسماعيل، فهد إسماعيل .
الخطوة الأشد طولاً : قصة الشهيد جمال سالم خلف اللنقاوي .../ بقلم إسماعيل فهد إسماعيل. - ط 2.- الكويت : مكتب الشهيد، 2013
32ص: 21سم. - (بصمات من تاريخ الكويت)
ردمك : 978-99906-84-24-7
1 - القصة العربية - الكويت 2 - الشهداء 3 -الكويت - تراجم أ- العنوان
ب- السلسلة

ردمك: 978-99906-84-24-7
رقم الإيداع: 492/ 2007

«إهـــــداء»

إلى أرضـــي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضيحة والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشـــعراً وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياســـية والإجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشـــهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الـــرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

فـــي مجموعتنا « **بصمات في تاريـخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين علـــى المحتـــل، وإرادة النصر على الغاصـــب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض فعندما تحقـــق النصر وطُـــرد الغزاة حكـــت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثّقت معارك شرف وملاحم

شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمه أحمد الأمير

لم يدر في ذهن جمال اللنقاوي أن صباحه ذاك سيكون مغايراً تماما لكل الصباحات التي مرت به.

استيقظ مبكرا نشيطاً... اليوم خميس دوامه الرسمي في مقر الحرس الوطني سينتهي- كما جرت العادة – الساعة الحادية عشرة.. بإمكانه – والحالة هذه – أن يتناول طعام غدائه مع زوجته في احد المطاعم.

«على سبيل التغيير»

همس لنفسه برضا أضاف:

«العلاقة الزوجية تحتاج بين الحين والحين لفتة خاصة»

لا شيء يمنع.. اليوم هو الثاني من الشهر.. والراتب – بعد تسديد الالتزامات – يحتمل اختراقات كمالية.

وهو يجالس زوجته على مائدة الإفطار لم يشأ أن يصرح لها عن فكرته. آثر أن يبقيها مفاجأة «عند انتهاء الدوام»

سبقته زوجته خارجة.. حين هم بأطباق باب المنزل من ورائه سمع رنين جرس الهاتف. ألقى نظرة خاطفة على ساعته. الوقت قارب السادسة صباحاً «لزوم بلوغه مقر عمله.. ومن ثم وصول زوجته لمكان وظيفتها.. تجاهل رنين الهاتف . أغلق باب المنزل حث خطوه... كانت زوجته قد سبقته الى السيارة. أدارت محركها..

فكرة أن يستقل كل واحد منهما سيارة متوجها الى عمله تأتي على متعة أن يكونا معا طوال الذهاب والإياب.

الوقت.. السادسة صباحاً، رغم هذا أحس جمال بثقل هواء أغسطس المشبع بالرطوبة.

زوجته هي التي تولت قيادة السيارة. مد جمال يده الى مفتاح المكيف، ليندفع الهواء البارد في وجهه لحظة اندفاع السيارة.

إحدى حسنات التبكير بالذهاب الى العمل أن الشوارع لا تعاني من زحمة السيارات كما هي الحال لدى تقدم النهار.

وما تنبه .. ولا تنبهت زوجته إلى إقفار الطرقات مقارنة مع الحركة المعتادة في مثل هذا الوقت من أيام أخرى.

وما تنبه.. ولا تنبهت زوجته الى أن السيارات التي صادفتهم - على قلة عددها - كانت مسرعة.. تظهر لتختفي سريعا في البعيد.

أمام بوابة مقر الحرس الوطني توقفت سيارتهما. ترجّل جمال.. لوّح لزوجته مودّعاً، عبر البوابة الى الداخل.

❖ ❖ ❖

في الداخل أصابه الذهول إزاء ما رأته عيناه. الرجال يتراكضون في كل الاتجاهات. البعض منهم اتخذ مواقع دفاعية

وراء النوافـذ. آخرون يتوزّعون على سـطح المبنى. الأسـلحة في المتناول. هناك من يوزّع قطع السـلاح.. وقف مشدوها للحظات، لو كان هناك تمرين.. تدريب.. أو إعداد لمناورة تنشـيطية.. لتولى احدهم إبلاغه.

«ما الذي يجري؟»

سـؤاله الحائر انبعث في داخله، قبل أن يستوقّف احد رفاقه. يسال دون أن يوفّق لمداراة قلقه:

- ماذا هناك؟!

موجه الرفيق مستغرباً. ردد:

- أنت - حتى الآن - لا تدري!!

سأله جمال بعتب أليم:

- لا أدري عن ماذا؟!

شعور بالرثاء طوّف في وجه رفيقه. أجاب:

- الجيش العراقي.. إجتاز الحدود..

صدرت عن جمال صيحة استنكار:

- كيف ؟!

عاجله رد رفيقه:

-اجتاحوا البلد من الشمال.. العبدلي.. المطلاع.. الجهرة ..

دمعت عيناه. استطرد:

-دمروا وحداتنا التي صادفوها في طريقهم !

غـــادره رفيقه باتجاه موقع دفاعـــي... بقي جمال لثوان غارقاً في ذهوله.. وجد نفسه يردد لنفسه بغضب محاصر: «الغدر!!»

❖ ❖ ❖

إذاعة الكويت - من مكان ما.. بدا وكأنه محمول- تطلق النداء تلو النداء.. تهيب بالأمة لأن تبادر.. توقف العدوان.

أخبـــار تم تداولهـــا تفيد بـــأن العديد من القـــادة العرب بدؤا تحركات سريعة للحد من تدهور الأوضاع بين البلدين الشقيقين.

حتى تأتي الوساطات بنتيجة ما لابد من التصدي..

«الوطن له كرامته!»

طعم المرارة يترسّب في فم جمال.

«الكويت بلاد العرب»

تعلمها في المدرســـة.. تشـــربتها دماؤه. لكن الحـــال الجارية الآن..

لم يجد تفسيراً منطقياً أو غير منطقي.. وجد ذهنه يتداعى.. يردد:

«وظلم ذوي القربى..»

إمعانـا في الاسـتهتار بالقيـم.. بعض الوحدات العسـكرية الغازية- ومن اجل أن تتحاشـى مواجهة مباشـرة مع الكويتيين- تغلغلت في العمق حاملة العلم الكويتي فوق آلياتها.

«لو أن الغدر وحده.. لكنها الخديعة متخذه سمة الجبن»

غضبه يغلي في صدره. كان قد تسلّم سلاحه. اتخذ له موقعا دفاعيا عنـد نوافذ الطابق الثاني لمبنى إدارة التوجيه المعنوي، بما يمنعه إمكانية رصد القوات المعتدية لدى اقترابها.

❖ ❖ ❖

مـن بين معلومـات يعرفها جمال أن عديـد الجيش العراقي بوحداته وفصائله وفرقه يتجاوز النصف مليون.. يصل الى ستمائة ألف..

الحرب - في الحسبة البسيطة - نسبة وتناسب»

كم هي نسبة عدد الجيش الكويتي - بأفراده وضباطه - مقارنة مع الأخر.. واحد الى عشرين؟!.. واحد الى ثلاثين؟!

عينـاه تترقبّان البعيد - متى يرى طلائعهم.. ولا مكان- الآن- للمثل القائل:

«الكثرة تغلب الشجعان»

الخطـوط الهاتفية مازالت عاملة الأنبـاء تتواتر.. ليس بينها

ما يسـر. بلغهم أن عسـكر العـدو احتل مدينـة الكويت.. اقتحم قصر دسمان.. شـهداء الحرس الذين تصدوا للدفاع عن القصر عشرات..

السؤال المفجع:

«ماذا عن مصير صاحب السمو.. أمير البلاد؟!»

بعد ساعة ونيف جاءهم خبر صاعق اخر.. جحافل العدو اقتحمت قصر الشـعب، بعدما قصفـت بوابته.. قتلت رجـال الحرس القائمين عليها.

سؤال مفجع اخر:

«ماذا عن مصير صاحب السمو.. أمير البلاد؟!»

بعد سـاعة ونيـف جاءهم خبر صاعق آخـر.. جحافل العدو اقتحمت قصر الشـعب بعدما قصفت بوابته، قتلت رجال الحرس القائمين عليها.. سؤال مفجع آخر:

- ماذا عن مصير صاحب السمو.. ولي العهد؟!

دقائـق.. ثم تعالى التهليل والتكبير وسـط المتواجدين هناك. ابتسامات الأمل تعلو الوجوه. الخبر المنقول عن مصدر ثقة..

«أصحاب السمو: أمير البلاد وولي عهده في مكان أمين، ولن تطلهما أيدي الغدر»

الاطمئنـــان تجاه رمـــوز الوطن يبعث على الحماس.. ويشـــيع الأمل في النفوس..

«اليوم غمّة.. لكن غداً شأن آخر»

الإيمان يعمـــر القلوب. الأكـــف تطبق على حديد الســـلاح.. والسؤال الذي مازال معلقاً:

«متى تحين المواجهة.. هنا؟!

❖ ❖ ❖

وســـط انشغاله بالترقّب عند نافذة الطابق الثاني تذكّر جمال الفكرة التي راودته منذ ساعات.. في الصباح.

«ادعوا زوجتي لتناول طعام الغذاء في أحد المطاعم»

الحال وقد انقلبت.. الأحداث بما لا يخطر على بال.. عصف به قلقه. كانت بسبيلها لبلوغ مقر عملها.

«ماذا لو..»

ارتجت فيه مشـــاعر جزعه. لم يجد ما يكمل به تساؤله مع نفسه. قرر أن يســـتقطع بضع ثوان من وقته وراء النافذة. يبذل جهداً بمهاتفة زوجته.

❖ ❖ ❖

الوقت صار ظهراً .. لعلها عادت الى البيت. استدار خائفاً:

«إن لم يصادفها مكروه!!»

هز رأسه كمن يطرد شبحاً. استجمع إرادته. مد أصابعه الى قرص الجهاز. أدار أرقام هاتف منزله. طفق ينتظر.. بدت له ثواني انتظاره كأنّها ساعات.

هتف بعدها لاهفاً:

- الو!

يصله ردها - وقد تعرفت صوته- أكثر:

- حبيبي!

تندى داخله بمطر ربيعي. انتشر الفرح في أعطافه.

«الحمد لله»

وقبل أن يتوجّه إليها بحديثه. بادرته بسؤال يتشرّبه القلق:

-أين أنت؟!

اختصر رده :

- في المقر..

شاء المتابعة،لولا معاودتها تساؤلها:

- متى تجئ؟!

أصدقها إجابته:

- لا أعرف!

لاذت بصمتها على الطـرف الأخر للخط. لعله قلق الزوجة.. لعلها طبيعة الظرف بغرائبيته الاستثنائية.

- حبيبتي..

مهّـد لمـا يريد قوله. سـحب لصدره نفسـاً . اطلقـه زفرة. واصل.

- الواجب يدعوني لأن أبقى هنا.

سمعها تفلت زفرة مماثلة. رددت كمن يتوسل الآخر:

- انتبه لنفسك!!

وجد حاله يستجيب من فوره:

- حاضر

❖ ❖ ❖

الإذاعـة الكويتية التي تسـمع من مكان ما بـدا محمولاً.. ما عادت تسـمع مثلمـا كانت. إرسـال متقطع يصاحب تشـويش.. استعانة لمتابعة الإخبار من إذاعات خليجية وعربية أخرى..

العالـم كله يشـجب اجتياح النظـام العراقي لدولـة الكويت واستباحتها أرضا وشعباً.

الكويت دولـة عضو في الجامعة العربية.قبل أن تصير عضوا في

الأمم المتحـــدة.. مواثيق الجامعة العربيـــة والأمم المتحدة تمنع لدرجة الردع..

مصر تدعو لاجتماع فوري للملوك والقادة العرب في القاهرة.. دعوة عاجلة لاجتماع مجلس الأمن الدولي في نيويورك.

العالمان.. الرأســمالي والاشتراكي يســتنكران. يدعوان قيادة النظام العراقي لتحكيم العقل، والمســارعة إلى سحب القوات إلى ما وراء الحدود مع الكويت.

الإذاعــات العراقية تطلق الأغاني والأناشــيد الوطنية احتفاءً واحتفالاً بانتصار الثورة المظفّرة في الكويت..

[فئة باســلة من الشــباب الكويتي العربي قامت بالثورة على النظــام الرجعي البائد.. نظام البغي والعدوان في البلد الشــقيق الكويت.. وطلبوا منا أن نهب لنصرتهم فلبينا النداء].

الكويتيون يتطلعون في وجوه بعضهم.. ليس شــعورا بالخديعة والغدر فقط.. لكن الأمر بلغ حد الإستهانة بالعقل الإنساني..

«من يكذب على من؟!

❖ ❖ ❖

أحدهم يصرخ به:

- جمال!!

يعود ليكرر:

- يا جمال!!

الصوت يصل الى أذنيه وكأنه آت من بعيد البعيد.. كان منشغلا كلّيا بالتعامل مع ما يراه في متناول بصره.

آليات العدو وصلت تباعاً. أخذت تصطف غير بعيد عن بوابة المقر. لتبدأ قصفها الثقيل له.

بندقيته الرشاشـــة تنتفض بين كفّيه، وهو يوجه ســـيل نيرانها نحو الآليات الدخيلة..

القصف المدفعـــي لتلك الآليات يطال جانـــب النافذة عنده.. يتوالى ليحدث فجوة في الجدار.. حيث يحتمي..

- يا اللنقاوي!!

سمعها جمال نافدة الصبر.إلتفت نحو مصدر الصوت. واحد من رفاقه يقف في مهبط السلم المؤدي الى الطابق الأرضي يلوّح له بيده.. جمال - وهو يتطلع الى الآخر- كان نافد الصبر أيضا..

«مقتضيـــات اللحظة تدعـــوه لان يركّز انتباهـــه على ما وراء النافذة..»

سمع الآخر يقول:

- تعال.. انزل.. بسرعة!

أوشك جمال أن يسأل:

- ماذا تريد؟!

لولا استطراد آخر بتحذير عالي النبرة:

- أنت تعرض نفسك للموت !!

سمع جمال صوته ينبعث من دخيلته:

«الموت في الحياة!»

أوما برأسه للأخر موافقاً. مما دعاه لأن يلحّ:

- لزوم تنزل الآن!

أجابه جمال:

- سأنزل..

أضاف وهو يعود لبندقيته:

- بعد قليل..

حرك الأخر يده دلالة يأســه.. اختفى من مهبط الســلم، عندها واصل جمــال إطلاق نيرانه، وصوته - للمــرة الثانية يصعد إليه من دخيلته :

«الحياة في الموت!»

مرت لحظات قبل أن يتنبّه جمال.. وجد نفســه شأن من يقف في العراء، مكشوفاً لنيران العدو.

جدران واجهــة الطابق الثاني - جراء تعرّضها لوابل شــديد مــن قذائف دبابات العدو المتركزة في الجــوار - تهاوت كلّها.. أو كادت..

«لا مفر والحالة هذه..»

تابــع طريقه زحفــاً وســط ركام حجارة الجــدران متمنطقا بندقيته، ريثما بلغ مهبط السلم.؟ تريث هناك لثوان.

«ما الذي يجنيه النظام العراقي من عدوانه هذا ؟!»

«لماذا قتل الأشقاء لأشقائهم؟!»

العديدون من معارفه سبق أن تزوجوا من عراقيات.. العراقيون أخوال الكويتيين.

- عندمــا إندلعت الحرب بين العراق وإيــران لم تآل الكويت جهداً بمســاندة العراق والوقــوف الى جانبه.. الموانــئ الكويتية صارت معبراً لاحتياجات العراق الغذائية وغير الغذائية.. أسطول الناقلات البرية وضع تحت التصرف.

أســطول ناقــلات النفط الكويتيــة دفع الثمن جــراء انحياز الكويــت للعراق فــي حربها مع إيران.. المحافــل الدولية.. الدعم المالي والإعلامي وال..

«كيــف ســيصار إلى وقف هــذه الحرب غيــر المتكافئة عدة

وعتاداً؟!»

بإمكانهـم أن يغنمـوا الحرب اليوم.. إنما.. مـاذا عن النظام العالمي؟!..

السؤال الأهم.. الذي احتل واجهة ذهن جمال:

«إن كان النظام العراقي اتخذ قرار بالانتحار حرباً.. فما الذي دعاه لأن يختار الكويت مكاناً لوضع قراره موضع التنفيذ؟!»

ولا مكان هنا لما قاله الشاعر العربي في زمان عربي:

« إذا أنت أكرمت الكريم..»

الصيحـات تتواتر.. تعلو لتتواصل، قادمة مـن ناحية الطابق الأرضي.. ولا مناص من النزول..

❖ ❖ ❖

- يا الهي!!

تمتم جمال مفجوعاً. عيناه تطوفان على الوجوه والأجسـاد. الـدم فـي كل مكان. الدم يتشـرّب الثيـاب. لونـه القاني يصبغ الأرض.

- كيف؟!

الصرخة تبقى حبيسـة الفم. للدم البشري حرمته.. حاذر إن تطأ رقعة أرض يعلوها الدم.

«للدم الكويتي..»

ليســت مسألة أخذ للثأر.. يفترض بالشقيق أن يثأر لشقيقه.. لا أن يثأر منه.

«محصلــة هذا الذي يحــدث !! .. النتيجة المرجوة لصالح من ؟!»

عنــد باب العيــادة .. العديــد من الجرحــى مطروحين على الأرض.. عديدون آخرون يستندون الجدران .

الدماء.. والكاظمين الألم بانتظار دورهم في تلقي الإسعاف.

«حتى الأمس لم يكن يخطر على بال..»

خــرق النواميس والقيم.. الخــروج على الأعــراف، وامتهان الكرامة الذاتية قبل ملامسة كرامة الأخر.

- ضمادات!!

ارتفع صــوت الدكتور وليد منفعلاً مضمناً شــعوراً بالفجيعة قادماً من وراء باب الموارب لغرفة العيادة. تابع كمن يصدر أمرا :

- أحتاج مطهراً للجروح!

انفتح باب العيادة خرج احد المســعفين مسرعاً. غاب بامتداد الــرواق. توفــرت الفرصة لجمال لكي يرى ما يــدور داخل غرفة العيادة. هاله ما وقعت عليه عيناه.

«رحمتك يا رب!!»

أجســـاد القتلى والجرحى تكاد تغطـــي أرضية غرفة العيادة. بعـــض جثامين الشـــهداء - نتيجة لزحمة المكان - حشـــرت تحت الكراسي المخصصة لجلوس المراجعين.

«اللحم ينعجن بالدم !!»

الحرب مستمرة.. آلاف الاطلاقات.. والعشرات من القذائف باقية تنهمر على المبنى .. تتآكل جدرانه.

«الكويتيون يســـتميتون دفاعاً .. حتـــى آخر رصاصة.. أو آخر رجل»

أعداد جنـــود العدو تتكاثر. آلياته - بدورهـــا - تتزايد، بعدما اســـتدعى إســـنادا إضافيا للتعامل مـــع جيوب المقاومـــة الكويتية، وتصفيتهـــا بالســـرعة اللازمة، بناءً على أوامر صـــادرة عن القيادة العليا في بغداد.

المســـعف الذي ســـبق أن غادر العيادة مســـرعاً.. عاد بالمثل.. حاملاً قناني مطهر.. اجتاز الباب.. واربه من ورائه.

هبّت زخّة إطلاقات مدفع رشـــاش صادرة عن إحدى مدرعات العـــدو... أصابـــت النافـــذة القريبة من المكان الـــذي يحتمي فيه جمال.. تهاوى الزجاج..

الريــح - وهي تعبر النافذة المهشــمة - تحمــل لفحة حرارة ظهيرة الثاني من أغسطس مشبعة برائحة البارود.

على الرغم من الخطر المحدق ســرق جمال نظرة الى الخارج من خلال فوهة النافذة. خيل إليه أنه رأى أحد رفاقه من الحرس يحتمــي وراء جــذع شــجرة قريبــة، يترقّب لحظــة يصمت فيها الرصاص، لكي يركض باتجاه باب المبنى. يدخل.

«المجازفة.. نسبة عالية جداً !!!»

ودّ جمال لو أنه قادر على مدّ يد المساعدة..

«من أين؟!»

يشــاغل العدو باطلاقات بندقيته الرشاش.. جدوى المشاغلة أمام العشرات من الآليات المعززة بالفولاذ.!!

ظل يخاتل النظر نحو الرفيق وجذع شــجرته. رآه وكأنه يعاني من حالة يأس. يتخذ بعدها قراره. يحني جســده يطوي المسافة الفاصلة بينه وبين المبنى ركضاً

«لا!!»

صرخة مكتومة مفجوعة في الوقت نفســه صدرت عن جمال، وهو يرى جسد رفيقه ذاك يتلقى زخّة رصاص. يتهاوى قبل أن يبلغ الباب بخطوات.

❖ ❖ ❖

«إنسان يقتل آخر !!»

بإمكانك أن تتقبل الفكرة وأنت تراها في الأفلام.. أما والحال رؤيا العين..

أحـس جمال كما لو أن الرصاص ينفذ في جسـده.. انتفض وهو في موقعه محتمياً بالإفريز المهشم للنافذة..

«ماذا بعد؟!»

سؤال حائر دار في رأسه. أعقبه آخر:

«الخلاص.. كيف؟!»

صيحات الرجال القريبين منه لم تشـغله عن التطلّع ثانية الى جسد الرفيق الذي وقع غير بعيد عن الباب.

«لم يمت!»

الرؤية حالة اكتشاف .تنبه إليه .. يبذل جهداً مستميتاً للزحف باتجاه الباب، لكن قواه المنهارة - بسبب الإصابة - لا تسعفه.

الأصوات المتعالية حول جمال بدأت تتلاشـى رويدا رويدا.. صار مشـدودا الى الجسـد الباذل جهـده يزحف.. اهتمامـه كله انحصر هناك..

«الحياة والموت قيد شعرة..»

الرصاص باق ينهمر.. شـــيء أشبه بالوشـــيجة تتحقق ما بين جمال والأخر المصاب خارج باب العيادة.

«مسؤولية أن تكون..»

الكل ينشـــغل بمهامه أو بإصابته.. جمـــال- وحده- هو الذي يرى.. ريثما يأتي القرار قادماً خارج الزمان والمكان:

«لا بد من..»

❖ ❖ ❖

«أربعة أمتار.. لا غير!»

قدّر جمال المســـافة التي تفصله عن جســـد الرفيق المصاب. الأخير - وقد رآه - نمّ فمه عن ابتســـامة امتنان واهنة.. يخالطها هامش أمل بالنجاة.

حـــرص جمال لحظة مغادرته الباب أن يتقدم زحفاً، تحاشـــياً لخطر الإصابة.

أزيز الرصاص يتخلله دوي القذائف يصم الأذان..

«لم يبق سوى متر واحد»

الرفيـــق المصاب يمد ذراعه نحوه.. جمال يفعل بالمثل.. لتطبق كفه عن كف الأخر. همّ بأن يسحبه إليه.

«حرام!!»

صـــرخ بها جمال حاقدة غاضبة ملتاعة. رشـــقه رصاص من مدافع رشاشة استهدفت جسد المصاب. نفذت احداها في جبهته. هشيم العظام ونثار الدم.. انتفض جسمه ثم سكن

«الرحمة!»

أرخى أصابع يده من على كف الأخر..

«ما الجدوى؟!»

عليه أن يقفل راجعاً زاحفاً.. مال بجســـده كي يلتفّ به. فوجئ بما يشبه ركلة خارقة القوة تضربه في صدره. صاحبها مباشرة - إحساس بالحريق.. ينتشر داخل أضلاعه.

«أنا مصاب»

الإدراك بحجم المفارقة. مال مســـتلقياً على قفاه. كتم أنفاسه بمحاولة للتعامل مع ألمه.

«قبل كل شيء..»

فكرته ترد ذهنه . تتضح:

«يلزمني أن ألفت اهتمام أفراد العدو بحركة تصدر عني..»

الفكرة تتواصل منحى استنتاج:

«وإلا .. استهدفوني ثانية»

عيناه باتجاه الســـماء.. أشـــعة الشـــمس بخطـــوط حمراء..

صفراء.. أرجوانية أطبق جفنيه. حرارة الأرض تتسرّب الى ظهره، والنار في صدره.

«لو إني نمت..»

معلومة يعرفها لمن هم في مثل حالته.

«النوم يعني الاستسلام لمضاعفات الإصابة.. يعني الموت»

يـدري أن الموت حـق.. وانه حادث لا محالة. إنما.. بالنسـبة إليه.. ليس الساعة.. ليس وهو متسلق على قفاه هنا..

«العدو والمواجهة..»

كما رياح طرية هبّت على وجهه عندما تذكر :

«الحال بما هي عليه.. زوجتي بانتظار عودتي ..»

عليك ألا تتخلى عن إنسانك الأعزّ في ظرف هو أحوج ما يكون لتواجدك الى جانبه.

«الحب مدعاة أمل .. مبرر حياة.. سبب رئيسي للمقاومة»

يعلم تماما.. انه – والظرف بما آل إليه – عاجز أن يكون معها في التو..

«لو أسمع صوتها !»

لعل خطوط الهاتف باقية تعمل.. ما الذي يمنع المحاولة؟!

الخاطرة تلح. تصير قراراً برغبة جامحة.

«أسمعها صوتي !!»

لكــن التحقيق صيغة معضلــة. التليفون. أن يعــود الى داخل المبنى، ومن ثم.. التليفون ..

«سؤال أخير.. القدرة على التحرّك؟!»

بدءاً .. رفع يده اليمنى ببطء شديد لكيلا يلفت إنتباه العدو- مطلق النار - يتنبّه الى..

«إنني ما زلت حياً .. يمطرني ثانية رصاصا»

مرر يده بالبطء الشــديد إياه على جانب صدره، ريثما لامس موقع الإصابة برؤوس أصابعه.

المكان - بقماش القميص الممزق.. الرطب بالدم.. حد التشبّع - غائر الى داخل.

الاستنتاج الفوري:

«قفصي الصدري .. هشيم!!»

واستنتاج لاحق:

«الإصابة ليست رصاصة.. لابد أن تكون شظية من قذيفة!!»

يسكن برهة يشد أزر نفسه:

«إنما الأعمار بيد الله:

الزحـــف قفاً .. اســـتعانة بكعبي القدمـــين وكوعي المرفقين.. زحزحة مدروســـة للكتفين.. يميناً ويســـاراً.. مـــع تقويس العمود الفقري برفع الظهر عن الأرض بضع سنتيمترات..

الألم يفوق الطاقة.. الجهد يستنزف الحيوية الآخذة بالتسرّب بالتسرب- أساسا - جراء النزف المتواصل للدم.

الثواني حســـاب ســـاعات.. والخطوة حســـاب أميال.. الباب يقترب، بات قيد خطوتين. الأمل قاب خطوتين. لولا الإرهاق لدى ملامسته حدود التلاشي..

«هل أستسلم؟!»

التقاط الأنفاس صار مشقة.. انفتح الباب لحظتها. وقعت عينا جمـــال على وجه الدكتور يعقـــوب. رآه يقع أرضا، قبـــل أن ينحني، يخرج بنصف جسده. يمد يده. يطبق كفه على ياقة القميص.. هادفاً لأن..

العـــدو لا يفوت فرصته. يصب نيرانه باتجـــاه الباب. يختضّ جســـد الدكتور يعقوب.. تلقى إصابة في كتفه، لكن أصابع كفه لا ترتخي من على قميص جمال.. يسحبه سريعاً الى الداخل.

«الكويت للكويتيين، الكويتيون بعضهم لبعضهم»

الدكتـــور يعقوب تعامل مـــع إصابته بصفتها بســـيطة مقارنة

بإصابـــات آخرين، ولم يتردد على آن يقول للدكتور العربيد عندما هرع إليه:

- عليك بجمال !

ودخل بعدها الى غرفة العيادة. جمال يضغط بكفه على موقع الإصابـــة بمحاولة لمنع تدفق الـــدم، وعندما التفـــت إليه الدكتور العربيد كي يسأله عن حالته، بادر بالسؤال من جانبه:

- تليفون!

صوته صيغة طلب.. رغم كونه رقيقا إلا انه لا يقبل الرد.

❖ ❖ ❖

الأمنية قيد التحقق.. ها هو مع التليفون..

- ألو..

كفّـــه اليمنى تضغط على فجوة الصـــدر.. الدم القاني ينزّ من بين فرجات الأصابع ..

- ألو.. نعم..

كفّه اليسرى تطبق على سماعة التليفون .. وصله صوت زوجته لاهفاً مشوباً قلقاً .

- جمال.. حبيبي.. أين أنت؟!

ارتجت مشاعره للســـماع. انفرجت شفتاه عن ابتسامة حزينة

واهنة.

- أنا هنا..

صمت لثلاث ثوان. إلتقط نفسه. أضاف:

- في المقر.

يغالبها انتحابها. تسال بهاجس التوقع:

- ما بك؟!

استجمع إرادته أجاب:

- لاشيء..

تابع محاولاً التخفيف من روعها:

- أنا بخير..

سـمعها تبكي بحرقة. عضّ على شفته السفلى بقوة. ألمه لدى سماعها تبكي يفوق ألم اصابته.. غمغم بحب:

- انتبهي لنفسك!

ود لو يتابع، لكن قواه..

❖ ❖ ❖

جفناه مطبقـان.. حين ارتخت كفّـه الضاغطة على جرحه.. سقط ذراعه جانباً. تدفق الدم غزيراً. ركض إليه الدكتور العربيد. احتضنه. بادر وضع كفه على موقع الإصابة بمحاولة لمنع التدفق.

- جمال!

هتف به كمن يحاول استعادته إليه.وصله صوت العربيد وكأنه قادم من مكان ناء. بذل قصارى جهده لكي يفتح عينيه . ولم..

«وقت التلاشي»

صرخ الدكتور العربيد منادياً على زميله المختص:

- دكتور وليد!

وصـــل الدكتـــور وليد راكضاً . خطف نظـــرة لوجه جمال. مد يده إلتقط معصمه يجس نبضه. طوّفت في وجهه ســـحابة حزن.

الدكتور العربيد يؤكد:

- هو لم يمت!

الدكتور وليد يجيب:

- نبضه لا يكاد يحس!

حدّق إلى موقـــع الإصابة حيث مازال الدكتور العربيد يضغط بكفه . قال :

-ارفـــع كفك! اســـتجاب الدكتـــور العربيـــد .. الأخر تفحص الإصابة. سادت لحظة قنوط.

أفاد الدكتور وليد بعدها بصوت هابط:

-إصابة مباشرة في القلب!